الفصل الثالث

الـــزار

يعتبر الزار بما يقوم عليه من معتقدات وما يدور حوله من طقوس وممارسات من أبرز الظواهر التى يعرفها المعتقد الشعبى المصرى • كما أن الزار يعد بشكله الراهن وبخصائصه التى ســـنفصل الكلام عنها من الظواهر المميزة للتراث الشعبى المصرى • والزار فى جوهره عبارة عن حفل ـــ ذى مقومات خاصة ـــ يستهدف طرد الارواح أو استرضائها • ويتم ذلك من خلال تقديم الاضاحى والقرابين ، وأداء بعض الرقصات ذات الايقاع الساخن السريع •

١ ـــ الدراسات السابقة :

يندر أن نجد دراسة معاصرة ـــ محلية كانت أو أجنبية ـــ للمعتقدات الشعبية المصرية لا تشير الى الزار من بعيد أو قريب • بينمـــا اللافت للنظر ـــ كما يشير الى ذلك كريس Kriss ـــ أن المصادر القديمة لا تشير اليه الا باقتضاب ، ودون أن تتطرق الى التفاصيل • ولكن عاد فى العصر الحديث يحتل مكانة بارزة بين سائر موضوعات المعتقد الشعبى المصرى • ونذكر على رأس هـــذه الدراســـات مقال « زار » فى دائرة المعـــارف الاســـلامية(١) ، ومقال تســـفيمر Zwemer (٢) ، ومقـــال ســـليجمان Seligman (٣) •

---

(١) Cerulli; Art. Zar; in : The Encyclopedia of Islam; 1934; P. 1217.

(٢) Zwemer; Samuel M.; The Influence of animism on Islam; London; 1920; PP. 22 ff.

(٣) Seligman; Brenda Z.; «On the origin of the Egyptian Zar»; in : Folklore; 1914; Vol. 25; PP. 300-323.

ويجب ألا نقتصر على الدراسات التى أجريت عن الزار المصرى ، فهناك دراسات عن الزار فى موطنه الاصلى الحبشة ، ونذكر منها دراسة تريمنجهام Trimingham (٤) ودراسات ميشيل لايرى M. Leiris (٥) وأخيرا مارسيل جربول Marcel Griaule (٦) .

ويذهب لايرى فى دراساته الهامة التى سبقت الاشارة اليها الى أن الزار يقوم فى الحبشة على نفس الاسس والعناصر التى يعتمد عليها فى مصر . ونحن لا نستطيع فى ضوء خبرتنا المباشرة أن نتخذ موقفا خاصا من هذه القضية تأييدا أو معارضة . ولكننا نميل الى الاخذ بالنتائج التى انتهى اليها العالمان النمساويان كريس من واقع ملاحظاتهما للزار فى الحبشة وفى مصر(٧) . فقد ثبت لهما أن الزار قد مر فى مصر بتطور تاريخى مختلف ، واكتسب طبيعة خاصة من واقع تفاعله مع الثقافة الشعبية المصرية . ولعل من أبرز مظاهر تميزه أن دنيا « الارواح » أو

---

(٤) Trimingham; J. Spencer; Islam in Ethiopia; Oxford; 1952; pp. 257 ff.

(٥) تحتل دراسات ميشيل لايرى مكانة خاصة بسبب خبرته الواسعة العميقة بالمجتمع الاثيوبى ، انظر من أهمها :

* Leiris; Michel; «Le culte des Zar à Gondar»; in : Aethiopika II; 1934; Nr. 3; PP. 96-103 and Nr. 4; PP. 125-136.
* Leiris; M.; «Le croyance aux genius Zar en ethiopie du nord»; in : Journal de Psychologie; 1938; PP. 108-125.
* Leiris; M.; La possession et ses aspects théàtraux chez les ethiopiens de Gondar»; Paris; 1958.

(٦) Griaule; Marcel; Le Livre de recettes d'un dabtara abyssin; Paris; 1930; PP. 129 ff.

والملاحظ أن حديث جربول عن الزار فى هذا الكتاب جاء فى ثنايا تناوله لموضوعات أخرى .

(٧) وقد قام رودلف وهوبرت كريس بدراسات واسعة عن الزار فى السودان ومصر ، ونشرا نتائج بحوثهما النظرية والميدانية فى كتابهما « المعتقدات الشعبية فى العالم الاسلامى » ، الجزء الثانى عن « السحر والادعية » .

« الاسياد » الخاصة بالزار المصرى قد اكتسبت طابعا مصريا متميزا على نحو ما سنفصل الكلام فيما بعد •

ولا تقتصر دراسات الزار على الحبشة أو مصر ، وانما هناك عديد من الدراسات التى تناولت هذه الظاهرة بالتسجيل والتحليل فى السودان أيضا • وهى فى نظرنا دراسات ذات أهمية حاسمة حيث ان السودان كانت هى المعبر الرئيسى الذى اجتازته هذه الظاهرة فى انتقالها من الحبشة الى مصر • ومن أبرز هذه الدراسات دراسة زنكوفيسكى S. Zenkovsky عن الزار والطمبورة فى أم درمان(٨) • وتستمد هذه الدراسة أهميتها من أن صاحبتها قد عاشت عشرات السنين فى أم درمان وشاركت شخصيا فى عديد من حفلات الزار• والملاحظة الرئيسية على هذه الظاهرة فى السودان أنها أقل تطورا منها فى مصر • وأنها مازالت أقرب الى أصلها البدائى المستمد من الوثنية الافريقية القديمة • ويشير كريس الى امتزاج الزار فى السودان بظاهرة مشابهة له تعرف باسم « البورى » المعروفة عند قبائل الهاوسا التى تعيش فى غرب أفريقيا • وقد انتشر هذا الاحتفال فى مناطق كبيرة شاسعة من غرب وشمال افريقيا •

ومن الطبيعى أننا سنركز دراستنا الحالية على ظاهرة الزار فى مصر ، ولن نشير الى مثيلاتها عند شعوب افريقية أخرى الا عندما نرى ذلك ضروريا لتفسير هذا الجانب أو ذاك من جوانب الظاهرة • وكان أول من تعرض للكلام عن الزار العالم الالمانى كلون تسينجر Klunzinger فى كتابه « صور من صعيد مصر » الصادر عام ١٨٧٧(٩) • ثم نجد أوصافا أكثر وضوحا وأكثر تفصيلا للزار عند السيدة الفرنسية

---

(٨) S. Zenkovsky; «Zar and Tambura in Omdurman»; in Sudan Notes and Records; Vol. 31; 1950; PP. 73 ff.

(٩) G.B. Klunzinger; Bilder aus Oberagypten; Stuttgart; 1877; PP. 388 ff.

« نية سليمة » Niya salima فى كتابها « الحريم والمسلمون فى مصر » الصادر فى باريس عام ١٩١٨(١٠) • ونذكر كذلك دراسة طومسون وفرانك المعنونة « الزار فى مصر » المنشورة فى مجلة « العالم الاسلامى » عام ١٩٠٣(١١) • بينما نجد أن هانز فنكلر لم يشر اليه فى كتابه « الفولكلور المصرى » الا اشارات عابرة(١٢) • وان كنا لا ننسى أن فنكلر قد خصص دراسة مستقلة لظاهرة أرواح الموتى التى « تلبس » بعض الاحياء وتحولهم الى حالة وجدانية صوفية تجعلهم قادرين على الانباء بالغائب وبالمفقود وبالمجهول وبشفاء المريض وغير ذلك من الحاجات التى يلجأ الناس اليهم فيها • وذلك فى كتابه « أرواح الموتى التى تلبس الانسان »• أما أكثر الدراسات تفصيلا وتعمقا فى تناول الزار فهى ولا شك دراسات العالمين الالمانيين بول كاله P. Kahle (١٣) وانو ليتمان E. Littmann (١٤)

وقد عاد المستشرق الفرنسى ماكسيم رودنسون M. Rodinson مؤخرا الى دراسة موضوع الزار فى مصر ونشر عن ذلك مقالين هامين ، صدر أولهما فى عام ١٩٥٤ والآخر فى عام ١٩٥٧(١٥) •

ولكن السمة المميزة لدراسات كاله وليتمان المفصلة عن الزار أنها

---

(١٠) Niya Salima; Harems et Musulmanes d'Egypte; Paris; 1918; PP. 255 ff.

(١١) A.Y. Thompson and E. Franke; «The Zar in Egypt»; in : Moslem World; Vol. 3; 1903; PP. 275-290.

(١٢) H. Winkler; Agyptische Volkskunde; Stuttgart; 1934; PP. 237 ff.

(١٣) Paul Kahle; «Zarbeschworugen in Agypten»; in Der Islam; Vol. 3; 1912; PP. 1-41.

(١٤) Enno Littmann; Arabische Geisterbeschworungen aus Agypten; Leipzig; 1950.

(١٥) Maxime Rodinson; «Le culte des Zars en Egypte»; in : Comptes rendus sommaries des seances de l'institut Français d'Anthropologie; Seance du 16; Jeune 1954; pp. 21 ff et : Autobiographies des possédées Egyptiennes»; in : Melanges Louis Massignon; Paris; 1957; PP. 259 ff.

تأخذ طابع الدراسات المونوجرافية المتكاملة • ولكن مع ملاحظة أنها ليست نابعة من ملاحظات شخصية وخبرات ميدانية قام بها العالمان المذكوران واكتسباها على أرض مصر ، ولكنها تعتمد فى المقـــام الاول على ما وقع تحت أيديهما من مخطوطات ، وكان محور الارتكاز عندهما بالتالى أدبيا فى المقام الاول • حيث اهتما بالصيغ والاغانى والادعية التى تقال وتتلى وتغنى فى حفلات الزار ، وبذلك أحس كريس حاجة أساسية الى استكمال هذه الدراسات النظرية الواسعة بملاحظات ميدانية مباشرة • وقد تيسر لهما ذلك من خلال حفلات الزار التى أمكن لهما حضـــورها أو اقامتها فى القاهرة وأم درمان خلال الزيارات الميدانية التى أعدا على أساسها كتابهما الموسوعى الضخم « المعتقدات الشعبية فى العالم الاسلامى »(١٦) •

٢ ــ أصل الزار :

يرجع بعض الباحثين الاصل اللغوى لكلمة « زار » الى المصـــدر « زار » (من زيارة) • وان كانت أغلبية دارسى الزار لا توافق على هذا الاشتقاق ، وترجع الكلمة الى الاصول اللغوية الحبشية • وهو ما يتفق كما ألمحنا وأصل المعتقد والممارسة نفسها • ومن هؤلاء Cerulli فى مقاله عن الزار بدائرة المعارف الاسلامية(١٧) • وهو يشتقه من اســـم كبـــير آلهة الكوشيين Kusiten الوثنيين • ويتسمى الاله السماوى لابناء هذا الدين باسم « جار » Djar ، وقد يتغير اسمه لدى بعض الطوائف الى « يارو » Yaro أو « دارو » Daro ، ولكنها تدل جميعـــا على مســـمى واحد • وحدث بعد هذا أن ظهر ــ فى اطار المسيحية الحبشية ــ اســـم روح شريرة هو « زار » Zar وقد استعاره المسيحيون الاحباش عن

---

(١٦) وقد وجه المؤلفان الشكر للدكتور محمد رياض وللدكتورة كوثر عبد الرسول على ما قدماه لهما من تسهيلات فى اقامة تلك الحفلات ، وفى المساعدة على فهم كثير من الظواهر التى عرضت لهما .

(١٧) انظر مادة زار Zar فى دائرة المعارف الاسلامية ، مرجع سابق ، المجلد الرابع ، ص ١٣١٧ وما بعدها .

بعض القبائل الوثنيا • ولكن بعد أن أنزلوه من علياء الالوهية الى أسفل درك الكائنات فوق الطبيعية ، أعنى مرتبة الارواح الشريرة أو المغضوب عليها(١٨) •

وهكذا يتفق الباحثون فيما يتعلق بأصل الزار على أنه كان يمثل فى الاصل جزءا من ديانات بعض القبائل الزنجية البدائية التى كانت تعيش فى قلب افريقية • ثم انتشر هـذا الاحتفال من الحبشـة ، حيث وردت بعض الاشارات اليه هناك فى أواخر القرن الثامن عشر ، الى السودان ، ومصر ، وبلاد العرب • وتدل بعض الاشارات على وجوده فى مصر منذ عام ١٨٧٠ تقريبا ، ووصل اليوم الى درجة كبيرة من الازدهار سواء فى الريف أو فى المدن الكبرى • ولا شك أن دخول الزار الى ثقافة شـعبية ذات مستوى أرقى على أى حال من الثقافة التى جاء منها قد جعله يتعرض لتغيرات بارزة فى معالمه وسماته • الى الحد الذى جعله يبدو اليوم فى نظر الانسان الشعبى المصرى كاحتفال دينى شعبى فى اطار الدين الرسمى التوحيدى الراقى وهو الاسلام • ولا ننسى أن الشيخ الذى كان ينظم حفل الزار فى قرية « كفر الزيتـون » بمحافظة الغربيـة ، والذى قمنا بزيارته عام ١٩٦٩ ، كان يطلق على حفل الزار الاسبوعى الذى ينظمه اسم « ذكر » أو « حضرة » محاولة منه للتمويه على حقيقة الاحتفـال الذى يجريه فعلا(١٩) • وكان يؤكد أكثر من مرة أن هـذا الاحتفال وما يمارس فيه من عادات ، وما يتلى فيه من أناشـيد ، وما يؤدى فيـه من رقصات ، لا يتعارض مع الدين الاسلامى(٢٠) •

---

(١٨) قارن مزيدا من التفاصيل عند ليتمان ، المرجع السابق ، ص ٤٤ وما بعدها ، وكذلك كريس ص ١٨٠ .

(١٩) تمت تلك الزيارة فى شتاء عام ١٩٦٩ ، وقد شارك فيها السيد الدكتور حسن الشامى الخبير بمركز الفنون الشعبية والسيد عبد الحميد حواس الباحث بالمركز . وقد ركزت البعثة — التى اعتمدت على تمويل ذاتى خاص — على تسجيل بعض الاعمال الادبية الشعبية وبعض عناصر العادات والمعتقدات الشعبية .

(٢٠) والملاحظ كذلك ان رجال الدين الاسلامى ورجال الدين المسيحى =

٣ ـ الزار احتفال نسائى فقط ؟

وأبرز السمات التى تميز الزار كاحتفال دينى شعبى فى مصر أنه قاصر على النساء فقط • وقد كثرت التفسيرات والتأويلات التى تحاول تحليل هذه الحقيقة • وذهب الكثيرون الى أن المرأة ، فى مجتمع يسوده الرجال ، تجد لها فى الزار متنفسا أساسيا تصب فيه كل ما يعتمل فى نفسها من مشاعر الضغط أو الحرمان(٢١) • ويذهب البعض الى أن الانتشار السريع للزار فى مصر خلال بضع عشرات السنين الماضية يرجع ولا شك الى هذه الحقيقة • وليس رواد الزار من النساء فقط ، بل ان القائمين عليه يكن من النساء غالبا • ولا ينفى هذا أن بعض الرجال يمكن أن تلبسهم أرواح الزار ، ومن ثم يمكن أن يقيموا لانفسهم ، أو يشاركوا

= فى الحبشة يحظرون اقامة حفلات الزار ويهاجمونها ، ولكن دون جدوى ، حيث لم تؤد جهود رجال الدين الى حصر دائرة انتشارها اطلاقا . ولعل السبب فى ذلك أن الزار فى الحبشة لا يستهدف مجرد استرضاء الارواح أو شفاء المرض بالاسياد ، وانما يستهدف كذلك استنطاق اولئك الاسياد — الذين يلبسون أجسام المرضى — معلومات عن الغيب والمجهول وعن الاحداث الطبيعية المتوقعة (مطر ، أوبئة ... الخ) والاحداث الشخصية .. الخ .

(٢١) لن يتعرض هذا الفصل لدراسة الزار من وجهة نظر الصحة النفسية ، برغم الاهمية الفائقة لهذا الموضوع وطرافته ، وكثرة ما كتب فيه . ونكتفى بالاشارة الى بعض المقالات الاساسية فى الموضوع ، أنظر :

— برونو ليفيين : الزار ، رقصة مصرية لطرد الارواح الشريرة وعلاقتها بشعائر الرقص الطبى عند شعوب أخرى وبجنون الرقص فى العصور الوسطى :

Lewis; Bruno; Der Zar; ein agyptischer Tanz Zur austreibung boser Geister und seine Beziehungen zu Heiltanz-Zeremonien anderer Volker und der Tanzwut des Mittelalters. (confinia psychiatrica; I. Bd.; Basel; 1958; PP. 177 ff).

ولنفس المؤلف أيضا : تأثير التصورات السحرية والدينية على الاضطرابات العقلية فى مصر :

Lewin; B.; Der Einfluss magischer und religioser Vorstellungen auf die Pathoplastik reaktiver und endogener geistiger Storungen in Agypten; Zeitschrift fur Psychotherapie; 6. Bd.; 1956; PP. 60 ff.

فى احتفالات الزار • وقد أورد بول كاله بعض الشواهد على ذلك(٢٢) كما أن رودلف كريس ، أحد مؤلفى كتاب المعتقدات الشعبية فى العالم الاسلامى قد أقام لنفسه حفل زار خاص فى القاهرة فى شهر مارس ١٩٥٧(٢٣) • كذلك شارك فى حفل الزار الذى شهدناه فى قرية كفر الزيتون فى عام ١٩٦٩ بعض الرجال • ولا يقتصر الايمان بالتأثير العلاجى النفسى للزار على بعض الطبقات الشعبية البسيطة فى مصر ، ولكنه يمتد كذلك الى بعض أبناء الطبقات العليا الذين يرون فيه متنفسا هاما عما قد يشعر به الفرد من كوابت أو انفعالات مكتومة ، وذلك من خلال موسيقاه الساخنة السريعة ، ورقصاته العنيفة • والشىء الهام الذى نود أن نؤكده أن الناس لا يذهبون الى الزار التماسا للشفاء من علل نفسية فحسب ، وانما كذلك من أمراض جسمية ، خاصة بعض الامراض المستعصية أو الطويلة كالروماتيزم والصداع وغير ذلك • وعلى رأس الاعراض الجسمية التى تقود بعض النساء الى الزار ولادة أطفال مشوهين ، أو ولادة الاطفال ميتين • حيث يسيطر الاعتقاد بأن هذا التشويه أو هذا الموت راجع الى فعل تلك الارواح أو الاسياد التى لابد من استرضائها أو طردها عن طريق حفلات الزار(٢٤) •

٤ ــ الكودية :

وتمثل الكودية أو « الشيخة » بؤرة الاحتفال كله ، تعاونها فى ذلك مجموعة من النساء • والغالب أن تكون الكودية امرأة سوداء ، وهى ظاهرة يتخذ منها كثير من الباحثين دليلا على أن الممارسة كلها قد وفدت من السودان • والغالب أن تنظم كل كودية زارا أسبوعيا فى محل اقامتها،

---

(٢٢) انظر دراسة باول كاله Kahle التى سبقت الاشارة اليها ، ص ٤ .

(٢٣) انظر كتاب كريس ، المعتقدات الشعبية فى العالم الاسلامى ، الذى سبقت الاشارة اليه ص ١٤٢ .

(٢٤) انظر المرجع السابق ، نفس الصفحة ، وكذلك بروتوكول زيارتنا الميدانية للزار الذى يقام أسبوعيا فى قرية كفر الزيتون محافظة الغربية .

وقد يطلق عليه اسم « حضرة » • ويرى البعض أن هذا الحفل يمكن أن يسمى « زار صغير » ويتردد عليه مجموعة النساء اللائى سبق لكل منهن المشاركة فى حفل زار كبير ، واللائى يعلمن بالتحديد اسم « السيد » الذى يلبسهن • ومن ثم تكون وظيفة حضور حفل الزار الصغير مقتصرة على التعبير عن الاحترام لهذا السيد ، ومحاولة لاسترضائه • ويرى كريس أن هذه الفئة من النساء يمكن أن نطلق عليها اسم مدمنات الزار ، ذلك أن احساسهن بالراحة وبالرضا مرتبط بحضورهن هذه الحفلات الاسبوعية ، ولانهن يعتقدن أنهن لا يستطعن الحياة دون المشاركة فى هذه الاحتفالات•

والى جانب هذا الزار الصغير يوجد الزار الكبير وهو الحفل الحقيقى الذى تبدو فيل كل عناصر الزار ومقوماته فى أكمل صورة • فهو يستهدف شفاء الشخص المريض ، ويمثل بالتالى طقس تكريس بالنسبة للشخص الجديد ، الذى يشارك فى احتفالات الزار لاول مرة • ولذلك تقع على الكودية أو الشيخة فى حفل الزار الكبير مسئولية رئيسية • اذ يتعين عليها أن تقوم قبل البدء فى الرقص ، بمجموعة من الاعمال التى تستهدف معرفة الروح أو « السيد » الذى يلبس جسد الشخص المريض ، ومحاولة استرضائه أو مؤاخاته عن طريق الاضاحى والقرابين التى يقدمها هذا الشخص • وهنا يبدو لنا الفرق الواضح بين الزار الصغير والزار الكبير • فحفل الزار الصغير يقوم أساسا على الرقص ، المصحوب بالطبع بالاغانى والموسيقى • أما الحفل الكبير فلا يمثل الرقص فيه سوى عنصر من بين عناصر أخرى ، أبرزها طقوس التضحية المعقدة •

وعلاوة على هذه الانواع من حفلات الزار تقيم كل كودية حفلا كل عام ، فى شهر رجب تخصصه لكافة الارواح والاسياد المعروفة لها • والجدير بالذكر أن حفلات الزار جميعا تتوقف طوال شهر رمضان • بلا استثناء لاى نوع منها •

وترث الكودية وظيفتها هذه • وهى تقوم أساسا بدور الوسيط بين الاسياد والاشخاص الملبوسين • ولذلك ترثها ابنتها فى هذه الوظيفة ،

واذا لم يكن لها من يخلفها فى هذا العمل ورثته عنها احدى النساء اللائى يعملن معها ضمن مجموعتها • ويشـــير كريس الى الفـــرق الرئيسى بين الكودية ومجموعة النساء اللائى يعملن معها • فهى تستطيع أن تتعامل مع كافة الاسياد ، كذلك مع أولئك الاسياد الذين لا يلبسونها • أما النساء المعاونين لها فترتبط كل واحدة منهن بسيد أو بروح معينة ، ومن ثم يطلق على كل منهن اسم « عروسة » ، لانها تعتبر عروسة للسيد الذى يلبسها ولما كان كل سيد يفرض على المرأة التى يلبسها مطالب معينة ، على نحو ما سنشير فيما بعد ، نجد الكودية تحمل على جسمها أكبر عدد ممكن من الاحجبة والتمائم ، حتى لا تغضب أيا من الاسياد • فى حين نجد أن كل عروسة لا تحمل الا التمائم الخاصة بالسيد الذى يلبسها فقط •

٥ ــ الفرق الموسيقية :

كذلك ترافق الكودية باستمرار مجموعة أخرى من الاشخاص الذين يقومون بعزف الموسيقى المصاحبة للرقص • ولا شـــك أن كثرة عـــدد الاسياد ، وارتباط كل سيد بايقاع موسيقى معين يجعل من هذه الفرقة الموسيقية عنصرا ضروريا من عناصر أى حفل زار • ولكن أبسط الفرق التى تصاحب الكودية عادة هى الفرقة البلدى(٢٥) •

أما النوع الثانى من الفرق الموسيقية فيعرف باسم أهم آلة فيـــه وهى « الطمبورة » ، أو تبعا لموطنه الاصلى أى الفرقة السودانى • وقد

---

(٢٥) وأبسط أنواع تلك الفرق « الفرقة البلدى » المكونة من نساء فقط . وقد قدم كريس وصفا للفرقة البلدى التى أحيت حفل الزار الذى حضراه فى شهر مارس عام ١٩٥٧ . وكانت تراسها سيدة سوداء زنجية سمينة . وتعزف على المزاهر ثلاث نساء ، والمزهر عبارة عن طبلة كبيرة ، (قطرها حوالى ٥٠ سم وارتفاعها ١٢ سم) ، وسيدة رابعة تعزف على « طبلة نص » (ويطلق عليها أحيانا اسم « دربكة ») ، وسيدة أخرى تعزف على طبلة كبيرة يعزف عليها من الوجهين تعرف باسم « مرجص » . انظر كريس ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

لاحظ كريس من خبراته الميدانية فى مصر والسودان أن الطمبورة المستخدمة فى مصر أبسط من النوع المستخدم فى السودان(٢٦) • ويعزف على الطمبورة بعض الافراد الذين ينتمون الى أصول زنجية واضحة ، والاهم من هذا أنهم على وعى بهذا الاصل الافريقى • ومن أبرز أفراد الفرقة السودانى عازف الطمبورة والسترى أو المنجور واثنين من عازفات الطبلة ، وهى تعرف فى هذه الحالة باسم طبلة طمبورة(٢٧) • أما المجموعة الاخيرة التى تشتهر بعزف موسيقى الزار فتعرف باسم فرقة أبو الغيط • وأبو الغيط راقص يقوم تقريبا بنفس الدور الذى يلعبه المنجور فى الفرقة السودانى • وهو يتوارث هذا العمل عن أبيه وأجداده ، وهو على خلاف الفرق السابقة لا ينتمى الى أصل زنجى ، وانما الى محافظة الشرقية • وتضم هذه الفرقة اثنين من عازفى الصفارة ، بينما تقوم زوجته بالضرب على الرق ، وقد تناول كريس هذه الفرقة بالوصف المفصل فى كتابه المذكور(٢٨) •

٦ — أرواح الزار (الاسياد) :

وقبل أن نستطرد فى وصف حفل الزار واستعراض عناصره ومكوناته ، نبدأ فى الكلام عن أرواح الزار ، أو الاسياد ، أو السلاطين • وقد سبق أن أشرنا(٢٩) الى أنه يقال أحيانا ان عدد هؤلاء الارواح أو

---

(٢٦) قدم كريس وصفا تفصيليا للطمبورة ، انظر ، المرجع السابق ، نفس الصفحة ، وكذلك صورة دقيقة لها (اللوحة رقم ١٣٠) .

(٢٧) ويرتدى المنجور جلابية بيضاء طويلة ، يتوسطها حزام جلدى عريض حول الوسط (انظر صورها على اللوحتين ١٣٨ و ١٣٥) يبلغ عرضه حوالى ٢٠ سم معلق عليه بعض الخرز وانواع مختلفة من الحلى تحدث صوتا واضحا عند الرقص . وعلى جانبى الرجل تتدلى من الحزام قطعتان من المرايا وفى بعض الاحيان يرتدى المنجور طربوشا أحمر اللون تتدلى منه قطع الخرز ، أو محاطا بقطعة من القراء الرمادى اللون ، انظر المرجع السابق ، ص ١٤٤ — ١٤٥ .

(٢٨) انظر المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(٢٩) ان محاولات حصر بعض الاسماء المتداولة تثبت أن هذا الرقم =

الاسياد يبلغ ستا وستين • ولكن التعمق فى البحث يثبت أن هذا الرقم ليس مقصودا بذاته وحرفه ، ولكنه يدل دلالة رمزية على كثرة عدد هؤلاء الاسياد • ولا تستطيع أى كودية أن تحصر أسماء كافة السلاطين أو الاسياد الموجودة • ويمكن القول بأن هناك مجموعات متميزة بعض الشىء من السلاطين • ويوجد داخل كل مجموعة سلطان أكثر أهمية من السلطان الآخر ، وسلطان أكثر ترددا واستخداما من سلطان آخر وهكذا • وان شئنا أن نصف هذه السلاطين أو الارواح لكان علينا أن نلجأ الى شىء من التعسف • وستكون بالقطع عملية شاقة لانها لا تستند الى أساس موحد ولا تصدر عن نبع واحد • وليس فى ذلك — كما أشار كريس — شىء من الغرابة ، ذلك أن الدين الاسلامى الرسمى لم يتبن هذا المعتقد ، وبالتالى فان المعتقد الشعبى الاسلامى لم يضع شخصيات أو أسماء هذه السلاطين فى صور وأشكال ثابتة متسقة مع بعضها • كما أشار كريس الى أن أى « شيخة » من شيخات الزار لا تستطيع أن تتصور وجود علاقة ثابتة بين هؤلاء الاسياد • ثم ان هناك صعوبات موضوعية تحول دون ايجاد مثل هذا التنظيم • اذ يمكن القول أن الزار المصرى يمثل الى حد ما وعاءا مشتركا تجمعت فيه كثير من معتقدات الارواح ذات الاصول العربية والحبشية والسودانية والافريقية الوسطى • وكان من نتيجة هذا امتزاج خصائص وسمات هذه الكائنات المختلفة على نحو قد لا يتيسر معه الفصل بينها بصورة واضحة وقاطعة • وقد أوضح كريس أنه بغض النظر عن أسماء الاولياء المسلمين والقديسين المسيحيين ، فانه يمكن القول بأن غالبية هؤلاء الاسياد يمثلون أرواحا طبيعية بالدرجة الاولى • ويضيف الى ذلك أنه يبدو أن الطبيعة الاقليمية لهذه الارواح ، التى تبدو فى الوقت الراهن بارزة وواضحة ، ترجع الى حد كبير الى طبيعة الارض

=لايمثل أكثر من دلالة رمزية على الكثرة ، قريبا فى هذا من رقم الاسماء الحسنى التسعة والتسعين ، التى زادت الكتب المختلفة — دينية وسحرية — فيها زيادات وصلت حد المبالغة .

والظروف الطبيعية التى تنتمى اليها فى الاصل • ولا شك أننا نتفق جميعا على أن الدراسات الدقيقة فى تاريخ الثقافة الاسلامية والعربية كفيلة بأن تقودنا الى نتائج محددة وسليمة • أما بالنسبة لظروف البحث الراهنة ، ومستوى وكمية المعلومات الميدانية المتجمعة • فانه يمكن تقسيم هـؤلاء الاسياد بشكل عام الى الفئات الرئيسية التالية :

(ا) أرواح اقليمية •
(ب) أرواح طبيعية •
(جـ) أرواح قبطية واسلامية •
(د) أرواح تدل على أصحاب المهن المختلفة •
(هـ) وقد أضاف ليتمان فئة خامسة هى الارواح التى تسمى بأسماء الاشـخاص • وينـدرج تحت هـذه المجمـوعة معظم الارواح التى لا تدخل فى الفئات الاربعة السابقة • وسـنحاول فيما يلى أن نفصـل الكلام عن مكونات كل مجموعة من تلك المجموعات :

(ا) المجموعة الاقليمية : وتضـم هـذه الفئة بدورها عـددا من المجموعات الفرعية على النحو التالى :

١ ــ المجموعة السودانية : وهنا نجد الطمبورة السودانى، والست السودانية وكذلك السـت الكبيرة ، التى تختلط فى بعض ملامحها مـع المجموعة الثانية وهى :

٢ ــ المجمـوعة الحبشية : ويأتى على رأسـها سـلطان الحبش واخوانه وهوانم الحبشة • ومن بين هؤلاء تبرز بصفة خاصة شـخصية مؤنثة تعرف باسم « الست الكبيرة » ، كما يطلق عليها أيضا اسم « حبوبة الحبوبات » • ويرى كريس أنهـا تعتبر بمثابة جدة لهـذه الارواح الحبشية • أو زوجة أو أخت لسلطان الحبشة • كما يندرج تحت هـذه المجموعة « سلطان المامة الكبير » الذى قد يسمى أحيانا السيد الكبير •

وقد أشار ليتمان(٣٠) الى أن الكلمة ومعناها وافدة من الحبشة حيث يطلق اسم المامة على رئيس الزار فى شوا Shoa وتعنى كلمة المامة تقريبا السيد على نحو ما يوضح ليتمان فى المرجع السابق • وتكرمه أغانى الزار هناك باعتباره على رأس التسلسل الهرمى لارواح الزار • وتنتمى اليه مجموعة كاملة من الارواح أو الاسياد التى تحظى بمكانة كبيرة فى نظر المعتقد الشعبى • وتعرف أخته أو أمه باسم المستغيثة ، ويعرف ابنه باسم « ياسة » أو « يوسف » ، كما تعرف ابنته باسم (مروما) • كما يلقب يوسف أحيانا باسم « أخ أم الغلام »(٣١) • كما يندرج تحت هذه المجموعة « سبع الخلا » ، الذى قد يوصف أحيانا بأنه أخ الست الكبيرة•

٣ ــ المجموعة الصعيدية : وعلى رأسها الصعيدى « أبو دنفا » • ويعتقد أنه يظهر على ثلاث مراحل كما أشار الى ذلك كريس فى تجربته عن الزار(٣٢) • ويعتقد ليتمان أن اسم هذا السيد يرجع هو الآخر الى أصل حبشى(٣٣) • وله أخت تعرف أيضا باسم « الست الصعيدية » •

٤ ــ المجموعة العربية : على رأسها العربى ورفيقته العربية ، وقد جاء اسمه عند ليتمان عرب العربان(٣٤) •

٥ ــ المجموعة المغربية : وعلى رأسها السلطان المغربى ويطابق المعتقد الشعبى بين السلطان المغربى والولى الكبير سيدى عبد القادر الجيلانى • وعلى الرغم من أن عبد القادر الجيلانى قد عاش حياته فى

---

(٣٠) انظر ، انوليتمان ، بعض ادعية الزار العربية من مصر ، المقال الذى سبقت الاشارة اليه ، الحاشية رقم ١٥ ، ص ٤٧ .
(٣١) انو ليتمان ، المرجع السابق ، ص ٥٢ .
(٣٢) قارن وصف كريس للزار ، فى المرجع الذى سبقت الاشارة اليه ، ص ١٤٥ وما بعدها .
(٣٣) ليتمان ، المرجع السابق ، ص ٤٨ .
(٣٤) المرجع السابق ، ص ٥٣ .

بغداد ، الا أنه يتمتع بمكانة رفيعة واحترام كبير فى المغرب ، الامر الذى جعل انو ليتمان يصفه بأنه حامى المغرب الاسلامى •

(ب) الارواح الطبيعية : وينتمى اليها مجموعة النار وعلى رأسها « سلطان الجن الاحمر » وأخواته ، وأرواح الماء أو أرواح البحر وعلى رأسها « السلطان البحرى » وأخواته وكذلك الروح المؤنثة التى تعرف باسم « الست سفينة » أو « ست السفينة » • وأخيرا المجموعة الجبلية وعلى رأسها « السلطان الجبلاوى » وأخته « جندر » ويعتقد كريس أن هذا الاسم ربما كان مشتقا من اسم جندر Gandar وهى مدينة بالحبشة•

(جـ) المجموعة القبطية والاسلامية : وعلى رأس هـذه المجموعة السلطان النصرانى أو سلطان الدير • كما أشـار كريس وليتمـان الى السلطانة مريم كاسم من الاسماء التى تطلق على أرواح الزار(٣٥) • أما المجموعة الاسلامية فيبرز فيها بطبيعة الحال اسم الدرويش ، وان كنا نصادف عديدا من أسماء الاولياء المسلمين التى تطلق على الاسـياد أو أرواح الزار • فنبدأ أولا بكل أسماء الاسرة النبوية حيث نجد : على ، والحسين ، والحسن ، وفاطمة ، ونفيسة ، وسكينة ، وأبو بكر وغيرهم • ثم يأتى بعد هذا كبار الاولياء المصريين جميعا وأصحاب الطرق الصوفية المختلفة : أحمد البدوى ، وابراهيم الدسوقى ، والرفاعى ، والبيومى ، وعبد العال ، وكذلك غالبية الاولياء المحليين المنتشرين فى مختلف أحيـاء القاهرة • كما نذكر بعض الشخصيات الاسلامية البارزة مثـل القطب المتولى ، والسلطان أبو العلا ، والامام الشافعى ، والامام الليثى • كما يندرج تحت هـذه الفئة أيضـا الجيوشى ، وأبو الحجاج (ولى الاقصر الشهير) • أما عن الشخصيات النسائية الاسلامية فنذكر « أم الغلام »•

---

(٣٥) انظر ليتمان ، المرجع السابق ، ص ٥٥ ، وكذلك كريس ، المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

وقد دار جدل طويل حول تحديد السيدة المقصودة بهذا الاسم • وطرح كريس احتمالين اثنين : الاول أن تكون المقصودة بهذا الاسم السيدة التى أحضرت — طبقا للرواية الشعبية الشائعة — رأس الحسين الى القاهرة • والثانى أن يكون المقصود بهذا الاسم القرينة أو أم الصبيان • وقد أضاف ليتمان شخصية يعتقد أنها قد خلقت لتضفى على الزار طابعا اسلاميا ، وهى المكية التى تتصل بكل ماله علاقة بالحج(٣٦) •

(د) المجموعة المهنية : وعلى رأسها الارواح ذات الاسماء العسكرية أو الحربية • وينتمى اليها « الياورى بك » وأخته الست ركاش هانم • ويتسمى هذا السيد فى صورته الرفيعة باسم « سلطان اللواء » ، وفى صورته الوضعية باسم « العسكرى » • وقد أشار الى هذه الشخصية كل من كريس وكاله(٣٧) • كما يندرج تحتها أيضا شخصية « الضابط » • ومن الفئات المهنية الاخرى شخصية الحكيمباشى (أو كما تنطق الحكيمباشا) •

(هـ) مجموعات أخرى : وهناك كما سبقت الاشارة عديد من الاسياد الذين لا ينتمون الى أى من الفئات السابقة • نذكر منهم على سبيل المثال السلطان رينا ، والسلطان روم النجدى(٣٨) • ومن الشخصيات الهامة الاخرى التى تتردد كثيرا والتى أشار اليها جميع من تعرضوا للزار تقريبا شخصية العبد الولاج • وقد جاء عند ليتمان كخادم لعديد من الارواح أو الاسياد الآخرين ، مثل الست سفينة والسلطان مامة الكبير •

---

(٣٦) انظر ليتمان ، المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٣٧) انظر كريس ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ ، وكذلك دراسة باول كالة التى سبقت الاشارة اليها ، ص ٢٦ .

(٣٨) ومن الجدير بالذكر أن انو ليتمان قد قدم عدة محاولات لتفسير الطبيعة الاشتقاقية لهذا الاسم ، ولكنه لم يحسم القضية لمصلحة تفسير دون آخر . انظر دراسته السابق الاشارة اليها ، ص ٥٦ .

٧ ــ القرابين والاضاحى :

ويطلب كل هؤلاء الاسياد أن يقدم لهم المرضى ــ أو الملبوسون ــ أضاحى وقرابين معينة محددة أدق التحديد نذكر منها على سبيل المثال بعض أنواع الاحجبة ، وأنواع معينة من الملابس ، وأداء رقصات بعينها تمارس تكريما لهم •

(أ) الاحجبة : أما فيما يتعلق بالاحجبة فهناك عدد كبير منها يختلف فى مضمونه ، وفى حجمه ، وفى شكله • وكثير منها يستخدم فى مناسبات أخرى ، ولاغراض أخرى • بحيث اننا يمكن أن نقول انه لا توجد أشكال معينة ، أو محتويات معينة قاصرة على الاستخدام فى الزار ، ولاجل استرضاء الاسياد أو ابعادهم عن جسم المريض • ولذلك نجد فيما يتعلق بالاحجبة المستخدمة فى الزار تنويعات فردية ، تساهم كما يقول كريس فى شهرة هذه الشيخة أو تلك من شيخات الزار •

(ب) الخلخال : ومن أبرز الاشياء التى تتخذ كنوع من الاحجبة أو التمائم على نطاق واسع الخلخال المصنوع من الحديد • والمعروف أنه حتى الخلخال العادى الذى تلبسه النساء المصريات الريفيات العاديات لا ينطوى على قيمة جمالية فحسب ولكنه يتميز علاوة على هذا بقيمة اعتقادية مخففة • وقد أشار كريس وباشتلى C. Bachatly الى بعض السمات التى تميز هذا الخلخال الحديدى المستخدم فى الزار عن سائر الخلاخيل الحديدية أو الذهبية المستخدمة عادة(٣٩) • ومن هذه السمات أن هذا الخلخال أرفع كثيرا كما أنه لا ينتهى كالخلخال العادى بالرأس

---

(٣٩) انظر :
Bachatly; Charles; «Notes sur quelques amulettes egyptiennes» in : Bulletin de la societé royle de géographie d'Egypte.
المجلد السابع عشر ، القاهرة ١٩٢٩ ــ ١٩٣١ ، ص ص ٤٩ وما بعدها ، وص ص ١٨٣ وما بعدها ، خاصة ص ٥٧ ــ ٥٨ ، واللوحة رقم ٢ •

السداسية الشكل ، وانما ينتهى برأس كروية • ومن المناسبات الاخرى التى يستخدم فيها هذا النوع الخاص من الخلاخيل الزوجات الصغيرات الحديثات العهد بالزواج اللائى يخشين على أنفسهن وعلى الاجنة التى يحملنها من القرينة ، خاصة عندما تكون المرأة قد أجهضت عدة مرات قبل ذلك ، أو فقدت أطفالها وهم بعد فى سن صغيرة • حيث يعتقد الناس أن القرينة سوف تتسلط على هذا الوليد الصغير وتقتله وهو بعد جنينا ، أو بعد أن يخرج الى الدنيا بفترة وجيزة • كما يوضع للأطفال الصغار هذا النوع من الخلاخيل الحديدية ، ولكن بأحجام صغيرة طبعا ، لحمايتهم من القرينة أيضا • وفى حالة استخدام الخلخال للطفل الصغير يتغير شكله عن الخلخال الذى تستخدمه المرأة الكبيرة ، فلا ينتهى بشكل كروى وانما ينتهى بشكل الحلقتين المتداخلتين (ربما لكى تسهل بذلك عملية ادخاله واخراجه من قدم الطفل)(٤٠) • ولنفس الغرض أيضا يلبس الشخص خواتم أو أساور مصنوعة من الحديد أيضا •

ويعرف المعتقد الشعبى بعض الشروط الدقيقة التى يجب توافرها فى هذا الخلخال الحديدى لكى يؤدى واجبه على النحو الامثل • فيجب كما قلنا أن يكون مصنوعا من الحديد(٤١) ، ويجب أن يكون مشترى من مال شحذه أصحابه من الناس(٤٢) • كما يجب أن يتوفر فى الحداد الذى

---

(٤٠) انظر كريس ، المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٤١) من المعروف أن الحديد — شأنه شأن الملح وبعض المواد الاخرى — من العناصر التى يعتقد أن لها تأثيرا دافعا لاضرار الارواح الشريرة ، فحمل قطعة من الحديد فى الطرقات المظلمة أو عند الدخول الى دورة المياه ليلا يعصم الانسان حامل هذا الحديد من التعرض لايذاء الارواح أو الجان التى تسكن تلك الاماكن .

(٤٢) نجد فى بعض الاعمال السحرية النص الواضح على هذا الشرط ، حيث يعتقد أن ذلك يكون ضمانا بأن هذا المال ليس مكتسبا من مصدر حرام ، انظر مزيدا من المعلومات عن هذا الشرط فى تنفيذ الوصفات السحرية عند :

El-Gawhary; Moh.; Die gottesnamen im magischen Gebrauch in den al-Buni zugeschriebenen Werken; Dissertation; Bonn; 1968.

يصنعه بعض الشروط الخاصة ، وأهمها أن يكون قد ورث مهنة الحداد عن آبائه وأجداده الى سابع جد(٤٣) • ويلبس الطفل والام الاساور والخواتم الحديدية حتى السنة السابعة من عمر الطفل ، وأحيانا حتى العام الحادى عشر من عمر الطفل •

كما يلبس بعض الاطفال فى مصر خلخالا مصنوعا من الشعر ، وقد وصفه باشتلى فى مقاله ، حيث يقول ان هذا الخلخال يكون مصنوعا من شعر البطن (الذى قص من رأس الطفل لاول مرة) • ويستهدف هذا الخلخال أيضا حماية الطفل من القرينة • ويتمتع شعر البطن بأهمية كبيرة فى المعتقد الشعبى المصرى • ومن ذلك أن بعض النساء يعتقدن أنه يمكن علاج الطفل اذا أصيب بالحمى عن طريق تبخيره بجزء من شعر البطن المأخوذ من هذا السواد • وفى هذه الحالة يلبس الطفل هذه التميمة مدة أسبوع ثم تخلعها عنه الام وتلقى بها فى النيل ، وتدعو له بطول العمر • وترى بعض الروايات أنه يجب القاء هذا الشعر فى النيل فى وقت معين وهو أول ليلة بعد ظهور الهلال(٤٤) •

(ج) الخواتم والاساور : وهناك علاوة على هذا مجموعة أخرى من الخلاخيل والخواتم والاساور التى تستخدم فى الزار • وقد وصف كريس بالتفصيل شكلا خاصا من أشكال الخلخال ترتديه الكودية وهى تؤدى عملها فى حفل الزار ، مما لا نرى ضرورة للدخول فى عرضه

---

(٤٣) كما أن هناك كثيرا من المعتقدات التى ترتبط بأهمية الحديد وفاعلية تأثيره ضد بعض الكائنات فوق الطبيعية ، كذلك الحال بالنسبة للحداد الذى يمثل لدى كثير من الشعوب البدائية والتقليدية مكانة مقاربة لمكانة الساحر أو المطبب الشعبى أو تفوقهما أحيانا . ولما كان توارث اى مهنة يكون عنصرا من عناصر قوة المشتغل بها ، لذلك اشترط المعتقد وراثة المهن الى هذا التاريخ البعيد ، كى يكون حائزا على كل اسرارها .

(٤٤) انظر مقال باشتلى Bachatly الذى سبقت الاشارة اليه ، وكذلك كريس ، المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

هنا(٤٥) • كما تلبس الكودية أنواعا معينة من الدبل والخواتم ذات الاشكال المختلفة • وترتدى الكودية أيضا مجموعة كبيرة من التمائم والاحجبة المصنوعة من القطع المعدنية التى تعلقها حول رأسها فوق منديل الرأس(٤٦) • ولا تكون هذه التمائم قاصرة على سلطان بعينه ، ذلك أن الشيخة كما قلنا لا تلبس الاشياء الخاصة بسلطان معين ، وانما تحتاط لنفسها من عدد كبير من الاسياد(٤٧) • وهناك عدا هذا مجموعة من التمائم والمعلقات المصنوعة من معادن أخرى ، أو من الصدف ، أو من البلاستيك ، وهى ذات أشكال وتنويعات وكتابات متباينة •

(د) **الملابس** : على أن الاسياد لا يقتصرون على طلب الاحجبة والتمائم ، وانما يتطلبون علاوة على هذا أنواعا خاصة من الملابس ، التى يجب أن ترتديها عرائسهم ، أى النساء الملبوسات : أثناء حفل الزار وقد لاحظنا كما لاحظ كريس أن أهمية هذه الملابس تختلف من شيخة لاخرى • ففى بعض الاحيان تفرض الشيخة على السيدة الملبوسة ارتداء ملابس ذات أوصاف محددة تحديدا دقيقا من حيث اللون والنوع والشكل ••• الخ • وفى أحيان أخرى يكون لدى الشيخة عديد من الملابس ذات الاشكال والانواع المختلفة التى ترتديها النساء أثناء الحفل • وفى أحوال ثالثة لا تشترط الكودية ارتداء زى بعينه بل نجد النساء المشتركات فى الزار يرتدين جميعا أزياء بيضاء اللون • ثم وجدنا فى حفل الزار الذى شاركنا فيه فى قرية كفر الزيتون بمحافظة الغربية أن المشتركين فى الزار — رجالا ونساءا — يرتدون أزياءهم العادية التى يرتدونها فى خروجهم العادى • مع ملاحظة أن حفل الزار المشار اليه من النوع « الصغير »

---

(٤٥) انظر صورا للخلاخيل التى ترتديها الكودية عند كريس ، المرجع السابق ، نفس الصفحة ، وكذلك الصفحات التى نشرها لبعضها ، اللوحات رقم ١١٣ ، ورقم ٧٣ •

(٤٦) ومكتوب على واحدة منها على سبيل المثال من النواحى المختلفة : بسم الله ، الله الشافى ، ماشاء الله •

(٤٧) ارجع الى كريس ، المرجع السابق ، ص ص ١٥١ وما بعدها •

الذى يقام بصفة أسبوعية منتظمة ، والذى سلفت الاشارة اليه فى مطلع هذا الفصل •

ويضرب كريس المثل على بعض نماذج الملابس التى يطلبها الاسياد ، فالسلطان الاحمروالسلطان البحرى يطلبون عباءة حمراء مزينة بكنار من الذهب • أما الست السودانية ، أو الست الكبيرة فانها تتطلب زيا كاملا متعدد العناصر • وهى تعتبر من أشهر الاسياد ومن أكثرهم تداولا على ألسنة المرضى • وهى تطلب من عروستها أن ترتدى « ملاءة سودانية » كبيرة مزينة بمربعات سوداء وبيضاء وبكنار أحمر اللون عرضه حوالى ٨ سنتيمترات • وتطلب الست السودانية علاوة على الملاءة طاقية مشغولة ومزركشة بالخرز والاصداف الدقيقة ذات ألوان متعددة • وتطلب كذلك عقدا من الاصداف المثبتة فى نسيج مشغول ، وحزاما يبلغ عرضه نحـــو ١٢ سنتيمتر ، وعقدا مشغولا بالخرز والصدف ، وخلخالا وأساور • ويزيد على العقد سلاسل حول الرقبة تتعدد من حالة لاخرى ، وتكون ثلاثة فى العادة ومثبت فيها حجاب أو أكثر على هيئة كيس داخل فى تكوين العقد • وهى تلبس بطريقة خاصة • وتحمل عروس الزار علاوة على هذا خنجرا ذات مقبض مصنوع من الخشب أو من العظم ، والجراب الموضوع فيه مزين بالخرز الملون كذلك • كما تحمل العروس علاوة على هذا عصا يبلغ طولها نحو ٦٠ سنتيمترا وهى محاطة من جميع جوانبها بالخرز كذلك • وفى بعض الاحيـــان ترتدى عروس الست الســـودانية طربوشا مزينا بالقصب • ولا يخفى ما تتكلفه كل هذه الاشياء ، خاصة وأنها ليست من سلع السوق العادية التى تتوافر فى أى وقت وبأى كمية ، ولكنها تتطلب اعدادا خاصا ومواصفات خاصة •

الا أن المسألة تبدو أكثر صعوبة بالنسبة لعرائس السلطان الصعيدى أبو دنفا ، الذى يظهر على ثلاث مستويات • ومن الاسماء الاخرى التى يشتهر بها كذلك اسم الجن الكبير • وهو يتطلب فى أرقى مستوياته ـــ حين

يكون اسمه أبو دنفا أو ملك الصعيد(٤٨) — سترة واسعة مفتوحة بنية اللون ذات أكمام طويلة ، وأهداب مزينة بالخرز الاحمر والشخاليل النحاسية • وكذلك سروالا على الطراز التركى مشغولا بنفس طريقة السترة • أما اذا ظهر فى صورة أبسط من هذا ، أى فى مستوى أدنى من هذا ، فانه يعرف باسم السلطان الصعيدى فقط • وترتدى عروسه فى هذه الحالة جلبابا عاديا بنى اللون ، ولبدة بنية عادة وشالا من ألوان أزرق وأحمر وذهبى • ويقوم الحاضرون تكريما له كذلك بأداء رقص العصا • أما اذا ظهر فى أدنى صورة فانه يتطلب جلبابا قصير الاكمام من قماش رخيص بنى اللون ، علاوة على طاقية وحقيبة بسيطة مصنوعتين من نفس قماش الجلباب •

أما أخته الست الصعيدية فتطلب من مريضتها جلبابا أسود اللون طويل الاكمام مصنوعا من قماش مشغول على هيئة الشبيكة مطعم بخيوط فضية اللون ، ومزود بكوفية • وتحمل على رأسها جرة فخارية ملونة من النوع الذى تستعمله النساء هناك لنقل الماء الى البيت •

أما السلطان ذى الاصل البدوى أو العربى فيطلب زيا معينا أيضا يرتبط بالبيئة البدوية • من هذا مثلا أن السلطان العربى الذى يعرف باسم (بابا أمير الحق) يطلب عباءة بيضاء محلاة برســـوم • ومنقوش على ظهرها جمل وراعى وراء هذا الجمل ، وعلى الجانبين أهداب زرقاء اللون ذات نقوش دائرية الشكل • وترتدى عروس هذا السلطان العربى علاوة على هذا كوفية حريرية بيضاء ، مزركشة بزهور ذهبية اللون • ويرتدى المريض على هذه الكوفية عقالا بصورته العربية التقليدية •

أما أخته الست العربية فتطلب « ملس » حريريا أبيضا بأكمام طويلة منقوش على حوافه ، وعليه برقع تتدلى منه بعض العملات المعدنية المذهبة اللون بصورتها التقليدية المعروفة ، كما تتدلى فوق الملس بعض قطع الخرز

---

(٤٨) وتتدرج تلك المستويات الثلاثة على النحو التالى (من أعلى الى أدنى) : ملك ، وعمدة ، وشيخ .

والصدف الزرقاء والبيضاء والحمراء ، علاوة على الحزام البدوى التقليدى •

أما السلطان رينا باشا فيطلب ملاءة ذات أهداب ، وملونة بالالوان الزرقاء والحمراء والذهبية •

وقد أشرنا من قبل الى الياورى بك أو سلطان اللواء ، الذى يظهر فى صورته الدنيا باسم العسكرى • ومن الطبيعى أن تختلف طلباته من الملابس والحلى تبعا للمستوى الذى يظهر به • فهو فى صورته الاولى كسلطان اللواء يطلب طربوشا أحمر مزركشا ذا وشاح (تلفيحة) حريرى أحمر • أما أخته « الست » فتطلب طرحة حريرية (جورجيت) حمراء اللون • أما عندما يظهر كعسكرى فانه يكتفى بطلب مسدس مصنوع بطريقة بدائية من الخشب ، يقترب كثيرا من لعب الاطفال • وقد ظهرت لهذا السيد صورة حديثة تعرف باسم الضابط ، ويتصوره المعتقد الشعبى فى صورة ضابط على هيئة ضباط هذه الايام ، يرتدى سترة الضباط العادية ، وطربوشا أحمرا عاديا(٤٩) •

أما سيدى عبد القادر الجيلانى أو المغربى ، وكذلك سيدى عبدالسلام فيطلبون نفس الملابس التى يطلبها الياورى بك ، والفارق الوحيد أن كل ملابسهما تكون من اللون الاخضر ، وكذلك صورهما المؤنثة •

أما السلطان القبطى فيطلب غطاء الرأس الاسود الذى يلبسه القساوسة وتتدلى منه خمس صلبان ذهبية اللون ، كما يطلب وشاحا أسودا محلى بخيوط ذهبية • أما أخته الست القبطية فتطلب قبعة سوداء بسيطة دون صلبان ، كما تطلب وشاحا أسودا باطار ذهبى أيضا •

---

(٤٩) يذكر القارىء أن ضباط الجيش كانوا قبل الثورة يرتدون طربوشا احمرا عاديا ، تقرر الغاؤه بعد عام ١٩٥٢ . وهذا هو وجه الخلاف بين زى هذا الضابط ، وزى الضباط المعتاد .

أما السلطان الدرويش فيطلب عباءة خضراء وطاقية حمراء • أما يوسف المدلى فى المدن فيطلب طربوشا أحمر وعصا ذا رأس فضى مشغول فى وسطه ومدلى منه أربع خلاخيل • ويريد كريس أن يعتبره لهذا السبب من الاسياد ذات الطبيعة العسكرية(٥٠) •

أما سلطان مامة وأقاربه وخاصة سلطان الحبش فهو عبارة عن روح مؤنثة تقترب فى صورتها الى حد كبير من صورة الست السودانية وتأخذ وضع الجد أو الام الكبرى ، ويبدو أنه من المتعذر الفصل بين الشخصيتين أو بين الصورتين ، فربما كانا اسمين مختلفين لتصور شعبى واحد • وتطلب سلطان مامة نفس الملابس ونفس الحلى التى تطلبها الست السودانية • وتنتمى الى نفس هذه العائلة أيضا هوانم الحبش ، حيث ترتدى لهما المريضة شالا مزركشا بالعملات الذهبية اللون ، وحزاما مزينا بقطع فضية اللون ويظهر « سبع الخلاء » كأخ لهذه الشخصية بطربوش أحمر مثبت فى وسطه مرآة •

وتحتل « الست السفينة » مكانة خاصة بين هذه الشخصيات الروحية• فهى تبدو فى مظهرها من قمة رأسها حتى اخمص قدمها فى صورة امرأة ، بينما يبدو بقية الجسد فى صورة جسم سمكة • وهى كما جاء عند انو ليتمان لا تطلب لنفسها ملابس خاصة • ولكن يجب فى الوقت الذى تغنى فيه الشيخة لها أن يوجد — على نحو ما جاء فى بيانات اخبارى ليتمان — : « اناءا كبيرا من النحاس ، مملوء الى نصفه بالماء ، وتعوم فيه بعض الاسماك الحية ، لكى تلعب فيها المرأة المريضة • وتغمس المرأة رأسها فى هذا الماء وتلعب بالاسماك أثناء الغناء »(٥١) •

---

(٥٠) استطاع كريس ان يحصل على هذه الملابس والحلى بسهولة من احد المحلات التجارية بخان الخليلى (حدد اسمه فى كتابه) فى حى الحسين بالقاهرة . ولصاحب المحل العجوز خبرة واسعة فى الملابس وقطع الحلى التى تناسب كل نوع من الاسياد لكثرة تردد العملاء عليه وتخصصه كلية فى الاتجار فيها . والجدير بالذكر ان تجارة هذا الرجل فى ازدهار مضطرد عاما بعد آخر . قارن كذلك كريس ، المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

(٥١) قارن ليتمان ، المرجع السابق ، ص ٦٦ .

٨ ــ خاتمــة :

تلك هى أبرز العناصر الداخلة فى دراسة موضوع الزار سواء من النواحى الاعتقادية أو الادبية أو المادية أو من حيث الممارسات • ولاشك أن الصورة كانت ستصبح أكثر اكتمالا لو أنهينا ذلك العرض بمحاولة رسم صورة لاحد احتفالات الزار • وأمامنا نموذج مفصل لهذا قدمه المستشرق كريس فى كتابه ، كما أن لدينا حصيلة خاصة استقيناها من دراساتنا الميدانية لبعض حفلات الزار ، خاصة حفل كفر الزيتون • ولكن اعتبارات الحيز المحدد لهذا الفصل تحتم علينا ارجاء هذا العرض ــ الذى سيفوق وحده حجم عرضنا هذا ــ الى مناسبة مقبلة باذن الله •